مجلة القرطاس
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index مجلة علمية محكمة نصف سنوية

دلالات التراكيب في خطاب الله ـ تعالى للأنبياء ـ دراسة وصفية تحليلية لنماذج مختارة

هُـــدى محمود ســالم حدقة*
قســـم اللغة العربية – كلية التربية – جامعة بنغازي
البريد الإلكتروني: Hadaga1975@gmail.com
رقم الأوركيد: 0009-0001-3798-8177
تاريخ الاستلام 11 / 5/ 2026م تاريخ القبول3 / 7/ 2026م

The Significance of Structures in God's Address to the Prophets: A Descriptive and Analytical Study of Selected Examples

HUDA MAHMOD SALEM HADAGA
Lecturer in Arabic Language Department, Faculty of Education, University of Benghazi.
Hadaga1975@gmail.com

Abstract
This research aims to study one aspect of the Qur'anic discourse, namely God's address — exalted be He — to the elite of His prophets and messengers, peace be upon them, who are known as the Prophets of strong will .(أولو العزم من الرسل)
They are the bearers of divine laws, endowed with patience and steadfastness, who endured the hardships of calling people to higher ideals and guiding legislation for the welfare of humanity .
The study examines the content of this discourse, its types, and its contexts, while highlighting some of the stylistic features of its formulation and modes of delivery. It also analyzes selected examples of its stylistic traits and structural characteristics, which contribute to the semantic diversity of Qur'anic discourse. Furthermore, the research explores the variations introduced into the original Qur'anic structures that shape this discourse,

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

requiring explanation and interpretation, and clarifies the intended meanings and implications arising from them.

The ultimate goal is to uncover the subtle secrets and wondrous nuances within the Book of God — exalted be He — and to reveal aspects of its unique composition, miraculous eloquence, and its superiority over all forms of human rhetoric and expression. In addition, the study emphasizes the deep-rooted presence of this divine mode of address in the Qur'anic text and the diversity of its forms and manifestations, which together represent a rich array of expressive patterns that portray the discourse and elucidate its purpose
Key words :Structural semantics ,The discourse ,Messengers of determination.

الملخـــــــص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة وجه من وجوه خطابات القرآن الكريم، وهو خطاب الله تعالى لصفوة أنبيائه ورسله - عليهم السلام- ، وهم أولو العزم من الرسل، من أصحاب الشرائع وذوي الصبر والثبات الذين *تحمّلوا* مشاق الدعوة إلى المطالب العليا والتشريعات الهادفة لإصلاح البشرية، بالنظر في فحوى هذا الخطاب، وأنواعه ومقاماته، والوقوف على بعض أساليب صياغته وطرائق تأديته، ودراسة نماذج من ملامحه الأسلوبية، وخصائصه التركيبية التي لها أثر في التنوع الدلالي للخطاب القرآني، والبحث في التغييرات الطارئة على أصول التراكيب القرآنية التي شكّلت هذا الخطاب، بما يستدعي التعليل والتأويل، وبيان ما ينجم عنها من دلالات مقصودة ومعانٍ مرادة، بغية تحصيل الأسرار الغريبة ، واللطائف العجيبة في كتاب الله -جل وعلا- واستجلاء بعض أسرار نظمه وإعجاز بلاغته ، وبيان سمو منزلته، وعلو مكانته عن غيره مما في كلام البشر من ألوان البلاغة والبيان، فضلًا عن رسوخ هذا النمط من أنماط الخطاب الإلهي في النص القرآني، وتنوّع أشكاله وصوره، فهو يمثل فيضاً من التشكلات الأدائية التي تصور هذا الخطاب، وتبين مقصده.

الكلمات المفتاحيـــة: دلالات التراكيب ، الخطاب ، أولو العزم .

المقدمة :

شغل الخطاب القرآني مكانة عظيمة في تاريخ البحث اللغوي والبلاغي، فقد كان موضع عناية علماء العربية من لغويين وبلاغيين ومفسرين وأصوليين؛ لما يتسم به من جمال في النظم، ودقة في التعبير، وما يتفرد به من فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب، تبهر العقول وتسلب القلوب، وبإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علّام الغيوب.

وباستقراء آيات القرآن الكريم يتبين تنوع الخطاب الإلهي لبني البشر على اختلاف أجناسهم وعقائدهم، فلكل خطاب خصوصيته التي توافق مقصده وسياقه ومبتغاه، وتلائم طبيعة المخاطب وأحواله، ويتنوع الخطاب القرآني ما بين خطاب عقدي، وخطاب تكليفي، وخطاب وصفي، وخطاب قصصي.

ويعد خطاب الأنبياء من أهم خطابات القرآن الكريم، إذ إنّ الأنبياء هم صفوة الخلق من بني البشر، اختارهم الله - جل وعلا - لحمل رسالته إلى أقوامهم، فاستحقوا التشريف منه - سبحانه وتعالى- بإنزال الوحي عليهم ، أو بالحديث المباشر، أو بالتمكين من المعجزات والآيات.

وخصهم - جل وعلا - بخطاب تتنوع سياقاته ومقاماته ، وتتنوع مقاصده وأغراضه، وينفرد بأساليب صياغته وطرائقه تأديته ، مما يبرز صورة من صور بلاغة التعبير القرآني، ويكشف عن أحد وجوه إعجازه نظمه، التي لا يمكن تصورها إلا بالمعرفة الدقيقة لعلم البلاغة العربية، حيث إنّ مباحث علم المعاني وأحوال المسند إليه من الحذف والذكر، والفصل والوصل، والتقديم والتأخير وما إلى ذلك من مباحث بلاغية، تعد من صميم البحث في بلاغة الخطاب القرآني، ومن أهم أدوات تحليله.

وقد اقتضت طبيعة البحث ومادته أن يُتبع المنهج الوصفي فيما يتصل بالجانب النظري، عند البحث في معنى هذا الخطاب وطرقه ومقاماته، والمنهج التحليلي في تحليل الخصائص التركيبية، والأساليب البلاغية التي اشتمل عليها، واستنباط الأحكام والفوائد منها، وإبراز أثرها في التنوع الدلالي.

واقتضى ذلك تقسيم البحث إلى مبحثين رئيسين: خُصص الأول منهما لدراسة خطاب الأنبياء في القرآن الكريم، طرقه ومقاماته، ويندرج فيه ثلاثة مطالب: وهي معنى الخطاب لغة واصطلاحاً، وطرق خطاب الله - تعالى - للأنبياء والرسل، ومقامات خطاب الله - تعالى - للأنبياء والرسل. في حين خُصص المبحث الثاني لدراسة الخصائص التركيبية لنماذج من خطاب الله - تعالى - لأولي العزم من الرسل، فقُسم إلى ستة مطالب وهي: التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والقصر، والالتفات، والتنكير والتعريف.

المبحث الأول ـ خطاب الأنبياء، طرقه ومقاماته

المطلب الأول: معنى الخطاب لغة واصطلاحاً

الخطاب لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة أن الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يُقال : خاطبه يخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك، والخطبة الكلام المخطوب به،

وفي النكاح الطلب أن يزوّج، ومنه الخطب (بفتح الخاء) الأمر يقع، وسُمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة. (ابن فارس، 1972: 2 / 198) ، وجاء في لسان العرب أن الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، والاثنان يتخاطبان، وخطب الخاطب على المنبر واختطب خطاباً، واسم الكلام منه الخطبة، وتُطلق على الكلام الذي يتكلم به الخطيب. (ابن منظور، 1993: 1 / 360 مادة (خطب)).

الخطاب اصطلاحاً: يدور معنى الخطاب في الاصطلاح حول مراجعة الكلام، وهو التوجه للآخرين بكلام تختلف صورته بين خطبة، أو رسالة، أو أي نص يقوم على استعمال اللغة لإيصال فحواه إلى المخاطَب أو المتلقي، فهو من الناحية التواصلية يُطلق على كل كلام يمكنه أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو من الكاتب. (العموش، 2008: 24).

الخطاب القرآني: هو كلام الله -سبحانه وتعالى- الموجه إلى جميع خلقه، وهو خطاب من الله - تعالى - للمكلفين طلباً وندباً ،وترغيباً وترهيباً، وإخباراً وتذكيراً ،واعتباراً وإنذاراً ونحو ذلك من أنواع الخطاب القرآني، وهو خطاب لجميع خلقه، ومنهم الأنبياء -عليهم السلام- على اختلاف أنواعهم ومقاماتهم، حيث إنّ مقامات الخطاب في القرآن الكريم هي جملة المقاصد والمواقف والأساليب التي سيقت في الذكر الحكيم قصد مخاطبة روح الإنسان وعقله، وتوجيه فكره وسلوكه، لذلك جاءت هذه المقامات متنوعة بتنوع المقاصد والغايات، وبتنوع المحاور والموضوعات، وهذا التنوع المقامي والموضوعي هو ما يدعو إلى ضرورة التمييز بين خطاب وآخر، إذ إن لكل خطاب له مقام مغاير عن غيره من الخطابات، وكل خطاب له خصوصيته من حيث مقصد سوقه، ومن حيث طبيعة الإلزام فيه، وطريقة أدائه.

خطاب الأنبياء:

يعكس العلاقة المباشرة بين الله - جل وعلا - وأصفيائه من خلقه، وتواصله معهم، واطلاعه على أحوالهم، ودعمه الدؤوب لهم، ونصرتهم وتأييدهم بالآيات والمعجزات. ولهذا الخطاب وجوه في القرآن الكريم؛ منها ما خُصّ به النبي - صلى الله عليه وسلم- ومنها ما خُصّ به أولو العزم من الرسل، وهم نوح ،وإبراهيم ،وموسى ،وعيسى ،ومحمد -عليهم السلام-، ومنها ما خُصّ بخطاب النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو موجه إلى جميع أمة القرآن العظيم معنىً وفعلاً. (ابن العربي، 2003: 2 / 576). وذكر الزركشي في كتاب البرهان وجوه المخاطبات في القرآن الكريم، وأن الخطاب في القرآن يأتي على نحو من أربعين وجهاً، ومما أورده منها في خطاب الله -تعالى- لأنبيائه ورسله عليهم السلام من أولي العزم:

ـ الخطاب للخاص والمراد به العموم، وهو ما خوطب به النبي -صلى الله عليه وسلم- والمراد به سائر المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**﴾ (الطلاق: 1)

ـــ ومنها خطاب العتاب، نحو قوله تعالى في خطاب نوح -عليه السلام-: ﴿يَا نوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ (هود: 48)، وقوله -تعالى- في خطاب إبراهيم -عليه السلام-: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا**﴾ (الصافات: 104-105).

ـــ ومنها خطاب المدح كما في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- به بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ؛ تعظيماً له وتبجيلاً كقوله -تعالى- في مقام الأمر بالتشريع العام: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (المائدة: 67).

ـ ومنها كذلك خطاب الواحد بلفظ الجمع، نحو قوله تعالى في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم -إذ لا نبي معه ولا بعده في هذا الخطاب-: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ (المؤمنون: 51).

ـ ومنها خطاب عين والمراد غيره كقوله -تعالى- في خطاب النبي - صلى الله عليه وسلم- والمراد المؤمنون: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾ (الأحزاب: 1).

ومنها خطاب التلوين وهو ما يسميه أهل المعاني الالتفات، كقوله -تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ**﴾ (الطلاق: 1) وقوله -تعالى-: ﴿**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى**﴾ (طه: 49). (الزركشي، 2006: 455 وما بعدها).

المبحث الثانـــي ـ طرق خطاب الله – تعالـــى - للأنبياء والرسل:

اتخذ خطاب الله - تعالى - لأنبيائه ورسله وجوها عدة ، وجاء إعلامه رسالته لهم بكيفيات متنوّعة، منها ما جاء وحياً وذلك بالإلقاء المباشر لما أراد الله في قلب النبي، ومنها ما كان تكليماً مباشراً أو من وراء حجاب، ومنها ما كان بإرسال الرسول أو الملك، قال - تعالى- : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً**﴾ (الشورى: 51)، أي : أنه يُلقي الوحي في قلب الرسول دون إرسال ملك، ولا مخاطبة شفاهاً، أو بأن يكلمه الله شفاهاً من وراء حجاب، مثلما كلّم الله تعالى - موسى - عليه السلام كليم الرحمن، أو بأن يكلمه الله بإرسال الملك كجبريل -عليه السلام- أو غيره من الملائكة. (السعدي، 2002: 25 / 762).

والوحـــي هو الكلام الخفيّ الذي يدور في نفس الموحى إليه من الأنبياء والرسل عليهم السلام وهو أمر مشترك بين جميع رسله، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ**

وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ (النساء: 162).، وأكثر ما وردت كلمة (وحي) في القرآن الكريم بمعنى إخبار وإعلام الله من اصطفاه برسالته كل ما أراد إخباره به أو إطلاعه عليه من أمره وعلمه، بطريق خفيّ غير معتاد للبشر. (الزرقاني، 1995: 1 / 46) ، وهذا ما يمثل الكيفية الأولى للوحي، أما الكيفية الثانية فهي الوحي للنبي بأنه يكلمه الله تكليماً من وراء حجاب، ومنه تكليم الله موسى من وراء الشجرة كما روت الآية الكريمة: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾** (الأعراف: 143)، وقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** (القصص: 30).

ومن طرق إعلام الله -تعالى- أنبياءه ورسله كذلك إخبار النبي أو الرسول بواسطة الروح الأمين جبريل -عليه السلام- على قلب الرسول، قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾** (الشعراء: 193-194)، وهذا الأسلوب هو الأكثر شيوعاً والأنسب وقوعاً في إعلام الرسل والأنبياء، وشواهده عديدة في الذكر الحكيم ، ومنه ما ورد من نزول الوحي على المصطفى - صلى الله عليه وسلم- في قوله -تعالى-: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** (البقرة: 97)، ويُمكن إدخال الإلهام أو الإلقاء في الروع في القسم الثاني الذي هو الإيحاء بواسطة ملك، وهو أحد أساليب الوحي، ويكون على أحوال، منها ما يكون بسماع الصوت، أو بمشاهدة الصورة، أو بالسماع من الملك قولاً مفصلاً إلى غير ذلك من الأحوال التي كانت تختلف على النبي - صلى الله عليه وسلم- في الوحي. (القرطبي، 1996: 6 / 16

الحوار في خطاب الله -تعالى- لأنبيائه ورسله:

اتخذ خطاب الله -تعالى- لأنبيائه ورسله شكل الحوار في بعض سياقاته، وهو ظاهرة لافتة في هذا الخطاب، وصورة جوهرية تمثل جزءاً أساسياً من مبناه، حيث يشارك الله - جل وعلا- في عدد من الخطابات الأطراف الأخرى من الأنبياء في حوارات، فيحكي أقوالهم مصدراً إياها بالفعل (قال)، ومن أمثلته في الذكر الحكيم حواره -تعالى- مع سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في قوله: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (البقرة: 259). وحاور الله - جل وعلا- رسله أجمعين يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة: 111).

وتعكس هذه النصوص الحوارية لخطاب الله - تعالى- لأنبيائه ورسله أحد أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم بما تمثله من طاقات في إنتاج الدلالات، وبكيفية إدارتها في النص القرآني، وتآلفها مع بقية عناصره، وبما تنطوي عليه من تراكيب لغوية تعد الأكثر حضوراً في النصوص الحوارية، كالأساليب الطلبية من (الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء)، ومن طرق تأدية الصياغة اللغوية لهذا الخطاب، وللمقولة الحوارية فيه، كأساليب التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتكرار، والالتفات وغير ذلك من خصائص التراكيب.

المبحث الثالث ـ مقامات خطاب الله -تعالى- للأنبياء والرسل:

جعل الله - سبحانه وتعالى- الأنبياء والرسل الواسطة بينه وبين خلقه، وكلّفهم بتبليغ رسالاته وشرائعه، وهم مأمورون بالتبليغ عنه - سبحانه - حيث قال: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**﴾ (الأنعام: 90)، أرسلهم -عزَّ وجلَّ- لهداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق، فهم مأمورون بإبلاغ الناس ما أُنزل إليهم من ربهم، وبيان دين الحق للناس. وقد جاء خطاب الله -تعالى- لأنبيائه في مقامات عدة تمثلت في الآتي:

في مقام الدعوة إلى الإيمان والتوحيد: إذ أمر الله -تعالى- أنبياءه ورسله ببيان دين الحق للناس، فهي من أعظم الحقائق التي دعت إليها الرسل جميعاً، بتقويم الفكر المنحرف لدى الناس، وتصحيح عقائدهم بدعوتهم إلى التوحيد الخالص لله -تعالى- والإيمان به وعبادته وحده، وإفراده بالخلق والملك والتدبير، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (النحل: 2).

ومن أمثلة خطاب الله -تعالى- لأولي العزم من الرسل في هذا المقام قوله -تعالى- في خطاب موسى عليه السلام: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ (إبراهيم: 5-7)، ويتمثل الخطاب في هذا المقام كذلك في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- حين يقول - تعالى-: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ (الأنبياء: 25).

في مقام الإرشاد والتبليغ: فقد أمر الله -تعالى- رسله بتبليغ رسالته إلى خلقه ،على الوجه الذي أمر به دون زيادة أو نقصان، أو تغيير أو كتمان، وبإرشاد الناس إلى طاعة الله في أوامره، واجتناب نواهيه. قال -تعالى- في خطاب موسى -عليه السلام- ودعوته إلى إرشاد قومه إلى طريق الصلاح والرشاد: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً

وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف: 145)، وقال -تعالى- في خطاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ بما أنزل الله إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: 67)، ويدخل فيه كل أمر تلقته الأمة عنه من العقائد والعبادات، والأحكام الشرعية، والمطالب الإلهية، فهي أمر من الله بالتبليغ على الاستيفاء والكمال، وألَّا يتوقف عن هذا التبليغ مخافة أحد. (ابن عطية، 1993: 2 / 217).

في مقام التبشير والإنذار: جاء خطاب الله -تعالى- لأنبيائه ورسله في مقام الدعوة إلى الله مقترناً بمقام الأمر بالتبشير لأهل الطاعة بالجنة وبالفوز المبين يوم القيامة؛ جزاءً لطاعتهم، والإنذار للعاصين المخالفين لأمر الله بالعقوبة والهلاك وعذاب النار جزاءً لكفرهم وعصيانهم.

قال تعالى في خطاب نبيه نوح -عليه السلام-: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (نوح: 1)، وقال -تعالى- في خطاب موسى -عليه السلام-: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 87)، وجمع في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- بين الأمر بالتبشير والأمر بالإنذار في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾ (مريم: 97) أي: لتبشر المؤمنين المتصفين بالتقوى الممتثلين لما فيه من الأمر والنهي، وتنذر الذين لا يؤمنون به إعراضاً وعناداً. (الألوسي، 2005: 16 / 459).

في مقام التنبيه والتحذير: اشتمل خطاب الله -تعالى- لأنبيائه ورسله في الذكر الحكيم على بعض آيات العتاب التي تنطوي على توجيه إلهي بقصد تحذير الأنبياء والرسل من عاقبة أمر وقع منهم خطأً في اجتهادهم، أو يترتب عليه ضرر في التشريع والأحكام، ويقصد التنبيه من الله -عز وجل- لأنبيائه إلى ما يحتمل وقوعه منهم ،ولو لم ينتبهوا إلى ذلك لوقع مثل ذلك الفعل منهم مرة أخرى، وتذكيرهم في تلطف وإشفاق بهدف التوصل إلى تقويم هذا الخطأ الذي يعود به الأنبياء إلى موافقة مراد الله -تعالى- وطاعته في المطلوب منهم، وهو توجيه لا ينتقص من مقامهم؛ بل يرفع من قدرهم، ويعلي من شأن نبوتهم، ومكانتهم عند الله -سبحانه وتعالى-.

ومن أمثلة ذلك خطاب التحذير الذي خاطب به الله - تعالى - نبيه نوحاً -عليه السلام- بعد أن طلب من الله -تعالى- أن ينجّي ابنه من الغرق بقوله -تعالى-: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ**

فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: 45-46)؛ وذلك لأنه سأل سؤالاً لا ينبغي أن يسأله في مقامه، فهو نبي ورسول، ولأنّ ابنه انتفى عنه الصلاح لعدم إيمانه فلم تنفعه أبوته. (أبو حيان، 2007: 5 / 239).

وقوله تعالى كذلك في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (التحريم: 1)، وهو خطاب تنبيه على فعل حرّم فيه على نفسه ما أحله الله له، معللاً الحكم ببيان أنّ ما أحله الله له ينبغي أن يتمتع به ما لم يعرض له ما فيه ضر أو مرض؛ لأنّ في إتيانه شكرا لله واعترافا بنعمته. (ابن عاشور، 1997: 28 / 346)، وإنما كان قد ذيّل بجملة (والله غفور رحيم) استئناساً للنبي - صلى الله عليه وسلم- وتخفيفاً عليه من وحشة هذا الملام.

المبحث الرابع ـ الخصائص التركيبية لخطاب الله - تعالى - لأولي العزم من الرسل:

المطلب الأول ـ التقديم والتأخير:

يمثل التقديم والتأخير متغيراً أسلوبياً في اللغة؛ وذلك لأنّه عدول عن القاعدة العامة، أو عن أصل الترتيب في نظم الكلام، حيث إن ظروف المقام ومقتضيات أحواله التي سيق فيها الخطاب قد تقتضي عدول بعض الألفاظ عن مواضعها ومراتبها الأصلية، فيُقدم المتكلم ما حقّه التأخير، ويُؤخر ما حقّه التقديم، وهو يستند على أصل مفترض قد يتقدّم الكلام عليه وقد يتأخر، ويخضع هذا الأصل لطابع اللغة، ونمطها المألوف في ترتيب أجزاء الجملة.

ويمثل التقديم والتأخير في بناء الجملة ركيزة أساسية في بلاغتها، وتحقيق مرادها، وإصابة غرض المتكلم لتحقيق مغزى التواصل بينه وبين المخاطَب، فهو كما يقول عبد القاهر الجرجاني: «باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موضعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان» (الجرجاني، 1992: 106).

وتتضح أهمية التقديم والتأخير في الخطاب القرآني من حيث إن كل تقديم وتأخير تكمن وراءه حكمة بالغة، وقدرة فائقة، فكأن المعنى يقتضي ما تقدّم أو تأخر اقتضاءً طبيعياً للتأثير في المخاطَب تأثيراً واضحاً.

ولهذا الأسلوب أغراض بلاغية أشار إليها البلاغيون، إذ رأوا أنه يشتمل على وجهين: أحدهما الاختصاص، والآخر مراعاة نظم الكلام، فلا يحسن نظمه إلا بالتقديم، فإذا أُخّر المقدّم ذهب حسنه. (ابن الأثير، 1983: 2 / 240)

وما ورد من التقديم والتأخير في خطاب الله -تعالى-لأنبيائه عامة جاء لتأدية أغراض بلاغية تتعلق ب(الاختصاص، والقصر، والاهتمام، والتشريف، والتكريم، والتشويق، وإثارة الذهن) وغير ذلك من الأغراض البلاغية التي تلفت انتباه السامع، وتدفعه للتفكر والتدبّر، وهي أغراض تتعلق بالمسند والمسند إليه ومتعلقات الفعل كالظرف، والجار والمجرور، والمفعول، والحال، والتمييز وغيرها من المتعلقات. ومن أنماط التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

تقديم الفاعل على فعله: وهو أن تقتضي طبيعة السياق في خطاب الله -تعالى- أن يُقدّم الفاعل ليؤكد نسبة الفعل إلى فاعله ويحصره فيه دون أن يشكك في هذه النسبة، ويلفت انتباه السامع أو المخاطب لمعرفة الحكم الذي يُراد إثباته لهذا المتقدّم.

ومن أمثلة هذا النمط من التقديم في خطاب الله - تعالى - لأولي العزم من أنبيائه ورسله قوله - تعالى - في الخطاب الذي لقنه لرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ليتحدى به المشركين: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (يونس: 34)، وهو توقيف من الله -تعالى- على عجز الأصنام وقصورها، وتنبيه على قدرة الله - عز وجل - في إنشاء الإنسان في أول مرة، وإعادته بالبعث من القبور، وتصدر الخطاب بالاستفهام الإنكاري التقريري لإنكار ذلك، إذ ليس المتكلم مطالب بالجواب، ولا يسعهم إلا الاعتراف بذلك؛ لأنه في معنى نفي أن يكون من آلهتهم من يقدر على بدء الخلق ثم إعادته، لذلك أمر الله نبيه بأنه ينوب عنهم في الجواب، ويرتقي معهم في الاستدلال بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، فصار مجموع الجملتين قصراً لصفة بدء الخلق وإعادته على الله - تعالى - دون شركائكم، وأن الأصنام لا تستحق الألوهية، وأن الله - تعالى - متفرد بها. (ابن عاشور، 1997: 11 / 161)

فتقدم الفاعل على فعله في الإجابة على الأسئلة الإنكارية المتعلقة بالأفعال الخارقة لحدود القدرة البشرية، وهي تختص بالله -تعالى- وحده.

وكذلك من مواطن تقدم الفاعل على فعله في خطاب الله - تعالى - لأنبيائه من أولي العزم، في سياق الاستفهام إذا كان الشك متعلقاً بالفاعل الذي قام بالفعل؛ وذلك لحمل المخاطب على الإقرار والاعتراف، ومن ذلك قوله -تعالى- في خطاب عيسى - عليه السلام -: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ

اللَّهِ﴾ (المائدة: 118)، وهو في أمر ما قالته النصارى في حقه من اتخاذه وأمه إلهين من دون الله، ولكنه أورد الاستفهام عن نسبة هذا القول لعيسى، مع علمه - جل وعلا - بأن هذا الفعل لم يصدر عنه وإنّما صدر عن المشركين، فكأن تقديم الفاعل المنزه عن الفعل تقريع وتوبيخ لفاعل آخر صدر عنه هذا القول.(أبو حيان، 2007: 4 / 63)، ويستفاد هذا المعنى من كلام الجرجاني عن الاستفهام بالهمزة بأنه تقرير بفعل قد كان وإنكار له لمَ كان؟ وتوبيخ لفاعله عليه. (الجرجاني، 1992: 114)

- **تقديم المفعول به على فعله وفاعله:** الأصل فيه أن يتأخر عليهما، ولكنه قد يتقدّم لإفادة دلالات منها : تأكيد وقوع الفعل عليه دون غيره، ومن أمثلة ذلك في خطاب الله -تعالى- لأولي العزم من الرسل قوله -تعالى- في خطاب رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ (الزمر: 14)، فقد تقدّم لفظ الجلالة (الله) المعبود على فعل العبادة (أعبد) ويدل على اختصاص فعل العبادة بالمتقدّم، والإخبار باختصاص الله وحده دون غيره بعبادته، والإخلاص له في دينه، لذلك قُدّم ذكر المعبود على فعل العبادة. (الزمخشري، د.ت: 4 / 127)

تقديم الجار والمجرور على مفعول اسم الفاعل: يفيد هذا النمط من التقديم التوكيد والاختصاص والاهتمام وغيرها من الدلالات الخاصة التي ترتبط بسياق الكلام، ومن أمثلة هذا النمط في خطاب الله -تعالى- لأنبيائه قوله -عزمن قائل- في خطاب إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ (البقرة: 124) حيث جاء الخطاب من الله - تعالى - مصدراً بـ (إنّ) المؤكدة، وفصل بين اسم الفاعل (جاعلك) والمفعول به (إماماً) بالجار والمجرور؛ وذلك للدلالة على التحديد والتخصص، وقد جاء هذا الخطاب جواباً على سؤال مفترض وهو: ماذا قال له ربه حين أتم الكلمات؟ فقيل: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾، ومعناه: أنه وعده بما يتلوه من الإكرام والإفضال، وفيه أمر من الله تعالى له بأن يستعد للإمامة ويتهيأ لها. (الطيبي، 2013: 3 / 74)، وفي تقديم الجار والمجرور (للناس) على مفعول اسم الفاعل دلالة على انتفاع الأمة التي أُرسل إليها من رسالته بطريق التبليغ، وانتفاع غيرهم من الأمم بها بطريق الاقتداء. (ابن عاشور، 1997: 1 / 703).

تقديم الجار والمجرور على المفعول به: وذلك بأن يقع التقديم للجار والمجرور على المفعول به في خطاب التفصيل والتوضيح، ويتبيّن ذلك في خطاب الله - تعالى - لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - بقوله: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً﴾ (البقرة: 259)، وذلك في سياق سؤال إبراهيم - عليه السلام - ربه عن حقيقة البعث، وطلب الوصول إلى مرتبة المعاينة، ويقين المشاهدة، فجاء التقديم في هذا المقام

للتفصيل والتوضيح لهذه المعاينة، ولكيفية الوصول إلى انكشاف المعلوم انكشافاً لا يحتاج إلى معاودة الاستدلال، ودفع الشبهات عن العقل. (ابن عاشور، 1997: 3 / 29).

تقديم جملة جواب الشرط على جملة الشرط: وقد ورد هذا النمط من التقديم في بعض خطابات الله - تعالى - لأنبيائه في سياق التحدي الذي رافق حوارات الأنبياء مع أقوامهم عند دعوتهم إلى الإيمان بالله، والإيمان بحقيقة الموت، وحقيقة البعث والنشور، ومن ذلك قوله - تعالى - في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - آمراً إياه بأن يواجه خصومه، ويتحدّاهم ويفحمهم - وقد قعدوا عن القتال - بعدم قدرتهم على دفع الموت عن أنفسهم؛ رداً على المنافقين الذين قالوا: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾، قال - تعالى -: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: 168)، فتقدّم جملة جواب الشرط على جملة الشرط في هذا الرد؛ لأنها موطن التحدي، ومحط الاهتمام، والمعنى: قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم سبيلاً إلى دفع القتل، وهو القعود عن القتال، فأوجدوا سبيلاً إلى دفع الموت عنكم. (الطيبي، 2013: 4 / 339)

تقديم الجار والمجرور: حيث تقدم الجار والمجرور الدال على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في الخطاب على أصحاب النبوات مع تأخره زمناً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ (الأحزاب: 7)، وذلك بأخذ الميثاق بتبليغ الرسالة والدعوة إلى الدين القيّم، في خطاب جمع فيه أولي العزم من الرسل، مقدماً ذكر النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (ومنك) على نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام؛ لأنهم ذكروا تخصيصاً بعد التعميم لهم فتقدّم أفضل المخصوصين. (الزمخشري، د.ت: 3 / 590)، وقد أفاد عطف قوله: (منك) عقب ذكر النبي؛ تنبيهاً على أن شأن الرسل واحد، وأن سنة الله فيهم متحدة متشابهة.

المطلب الثاني ـ الحذف والذكـــــــر:

يعد الحذف في العربية من فنون الكلام، ومن أبرز أشكال الفصاحة والبلاغة، التي تجعل الكلام في معناه أوكد في النفس وأثبت بالذهن، وأعمق تأثيراً في المخاطب، وهو «إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها في الحال أو فحوى الكلام» (الرماني، 1968: 76)، فقد حذفت العربية الحرف والكلمة والجملة، وذلك إذا قام عليها دليل، يتمثل في القرائن المصاحبة للنص، التي تدل على المحذوف، وترشد إليه وتعيّنه، ووجود سر بلاغي يدعو إلى الحذف، ويرجحه على الذكر. وللحذف أسرار ومزايا بلاغية، فالمتكلم يطوي جزءاً من أجزاء الكلام، ولا يختل المعنى بهذا الطي، بل يزداد الكلام حسناً، وتكثر

فوائده ومزاياه. قال عبد القاهر الجرجاني موضحاً تأثير الحذف وقيمته في التركيب: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن» (الجرجاني، 1984: 146).

ويكثر الحذف في الخطاب القرآني مشكلاً سمة أسلوبية واضحة المعالم، ومتنوعة الأبعاد، ومن أشكال هذا الحذف التي وردت في خطاب الله - تعالى - لأولي العزم من الرسل:

- **حذف المفعول به:** وله دلالات وقيم تعبيرية يفيدها في الخطاب القرآني، ارتبطت هذه القيم بسياقات متعددة ومتنوعة، ومن ذلك قوله - تعالى - في خطاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾ (الفرقان: 41)، أي (بعثه) بحذف الضمير المتصل المفعول به، واسم الإشارة يفيد الاستحقار؛ لأنّ كلمة (هذا) تستعمل له، وعائد الموصول محذوف أي (بعثه)، و(رسولاً) حال منه، فقد جاء هذا الحذف في مقام التحقير والازدراء من المكذبين من المشركين للنبي - صلى الله عليه وسلم - عند رؤيته، وكشف عن رفض الاعتراف بوقوع فعل البعث عليه، سخرية به وازدراء له، فكأنهم يقولون إنه من غير اللائق أن يبعث الله هذا الرجل، وهو من شدة ظلمهم وعنادهم وقلبهم الحقائق، وأن الرسالة لو كانت لغيره لكان أنسب.

ومن مواضع حذف المفعول لغرض الدلالة على إثبات المعنى في نفس الفاعل دون النظر إلى مفعول معين ما جاء من خطاب الله - تعالى - لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: 9)، وهو من باب إنزال الفعل المتعدي منزلة الفعل اللازم، إذ المعنى: هل يستوي من له علم، وهو المؤمن العالم بربه، ومن لا علم عنده، وهو الكافر الجاهل به، من غير أن يقصد الشيء معلوماً بعينه؛ وذلك لعدم تعلق الغرض بذكر المفعول؛ ولأنّ المراد مجرد ثبوت الفعل للفاعل أو نفيه عنه. والاستفهام بعد فعل القول في هذا الخطاب مستعمل في الإنكار، والمقصود إثبات عدم المساواة بين الذين اتصفوا بالعلم ومن لا علم لهم، وليس المقصود الذين علموا شيئاً معيناً. (ابن عاشور، 1997: 23 / 348)

كما يكثر حذف المفعول به في خطاب الله - تعالى - لأنبيائه لرعاية الفواصل القرآنية التي يساعد توافقها وائتلافها على أداء المعنى في أحسن صورة وأبهى قالب، إلى جانب ارتباطها بلطائف بلاغية أخرى ترتبط بسياق الكلام ومقامه، من ذلك قوله تعالى في خطاب نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى: 1-3)، أي ما ودّعك وما أبغضك، وحذف المفعول هنا إما

للاستغناء عنه بذكره من قبل، أو لقصد نفي صدور الفعل عنه - تعالى - ووقوعه على النبي، وفيه مراعاة للفواصل. (أبو السعود، د.ت: 9 / 169).

- **حذف الفعل:** حُذف في الكلام في مواطن عدة من خطاب الله - تعالى - لأنبيائه، حيث يُستغنى عن ذكر التفصيلات الجزئية التي يمكن أن تدرك من السياق، وتفهم من قرائن أحواله، فمن ذلك قوله - تعالى - في خطاب موسى - عليه السلام -: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ (البقرة: 60)، أي فضرب فانفجرت، ويفيد هذا الحذف بيان سرعة امتثال موسى - عليه السلام - ومبادرته إلى تنفيذ أمر الله وتحقيقه، ويشعر كذلك بسرعة إجابة الله - تعالى - له، وتفجر العيون بأمره، كما يشير الحذف إلى تلهف موسى - عليه السلام - لما يشير عليه به ربه في التصرف أمام الأزمات. (المطعني، 1992: 2 / 76).

ومن صور حذف الفعل كذلك في خطاب الأنبياء إذا وقعت جملته جواب سؤال، كتلك الأسئلة التي يلقنها السائل العليم - جل وعلا - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - ليقوم بتوجيهها إلى خصومه من الكفار والمعاندين للإقرار بالحق، فيكون في ذكر الفاعل إسراع بذكر المسؤول عنه، بعد أن فهمت النفس الفعل المسؤول عنه، من ذلك قوله - تعالى - في خطاب النبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (العنكبوت: 61)؛ أي: ليقولن خلقهن الله، وذلك تعجيباً من نقائض كفرهم، بمعنى أنهم مع كفرهم بالله إذا سألهم سائل عن خالق السماوات والأرض، يعترفون بأن خالقهن الله، ولا ينسبون لأصنامهم شيئاً من هذا الخلق، فكيف يتفق هذا مع ادعائهم الألوهية لأصنامهم؟ (ابن عاشور، 1997: 21 / 26)

وكما أن للحذف قيمته البلاغية، فكذلك للذكر في موضعه - حسبما يتطلبه المقام - مزايا بلاغية، وبخاصة حينما يكون في الذكر تثبيت للمعنى، وتوطيد له في النفس، ويكون في ذكره معانٍ لا تستفاد إذا حُذف. وقد مثّل لنا القرآن الكريم حالات الذكر التي تبيّن صوراً بلاغية لا يمكن معرفتها إلا بذكر اللفظ؛ لأنّ الإظهار والإضمار يكون حسناً إذا كان في جملتين مستقلتين؛ لأن كل جملة تقوم بنفسها. (الزركشي، 2006: 604).

ومن المواضع التي ذُكر فيها المسند إليه في خطاب الله - تعالى - لأنبيائه خطاب سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في مقام الدعوة إلى التوحيد بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (الإخلاص: 1-2)، في الدلالة على مجامع صفات الجلال والكمال، حيث ذكر اسم الجلالة في الجملة الثانية، ليستقر هذا الوصف في النفس مرتبطاً بخبره، ويفيد

بتعريفه وتعريف الخبر أنّه وحده السيد المقصود إليه في الحوائج، وعند اشتداد الخطوب، واستغنائه عن غيره مطلقاً، واحتياج كل ما عداه إليه، وهو من كمال صفات الألوهية التي يختص بها - جل وعلا -. وفي تكرار لفظ الجلالة (الله) إشعار بأنّ من لا يتصف بهذه الصفات لا يستحق الألوهية، وترك العاطف في الجملة؛ لأنها بمنزلة النتيجة للأولى أو الدليل عليها. (البيضاوي، 1990: 4 / 463)، وفضلاً عن ذلك ما يحققه هذا الذكر من التناسب الموسيقي، والتناغم الصوتي الذي لا يتحقق إذا حذفنا لفظ الجلالة، مع وجود في الكلام ما يدل عليه.

ومن مواضع الذكر كذلك في خطاب الله - تعالى - لأنبيائه قوله - تعالى - في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في سياق تلقينه الإجابة عما يعرض له من أسئلة عن الأمور الغيبية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 85)، حيث آثر النظم الكريم إعادة ذكر لفظ (الروح) في الجواب؛ لزيادة ارتباطها بذكرها في السؤال، ولتثبيت معنى الجملة في نفس السامع، وعدم تشتيت أركانها في ذهنه، ولذلك أظهر في مقام الإضمار في قوله تعالى: ﴿قُلِ الروح﴾ ؛ إظهاراً لكمال الاعتناء بشأن المسؤول عنه، إذ إنّها سؤال عن أمر معنوي عظيم وهو حقيقة الروح التي عليها مدار البدن الإنساني، وأساس حياته؛ لأنّ ذلك من الأمور الدقيقة التي لا يستطيع أحد إنكارها، ويسعى إلى معرفتها، وتطمح دواعي العقلاء إليها، ولا تُعلم إلا بوحي. (الألوسي، 2005: 8 / 144).

المطلب الثالث ـ الفصل والوصل:

يمثل الفصل والوصل في العربية أساس العلاقات بين الجمل، والترابط بين مفرداتها، وهو من أهم أبواب البلاغة في دلالته على المعاني التي يؤديها؛ وذلك لخفائه، ودقة مسلكه، وغزارة أسراره، حتى عدّه بعض البلاغيين البلاغة نفسها، إذ أورد الجاحظ تعريفاً للبلاغة بأنها "معرفة الفصل والوصل". (الجاحظ، 1985: 1 / 88)، ورأى البلاغيون أنّه لا يعرفه على حقيقته، ولا يحيط علماً بأسراره إلا من أوتي طبعاً سليماً في فهم كلام العرب. (القزويني، 1993: 3 / 97)

والفصل هو ترك العاطف بين الجملتين للتباين، ولانقطاع الوشائج بينهما، ومنع اشتراكها في الحكم، والوصل خلاف ذلك، بعطف جملة على أخرى (بالواو) فقط من دون سائر حروف العطف الأخرى، لدلالتها على مطلق الجمع والاشتراك.

وقد بدا أثر هذا الأسلوب جلياً في القرآن الكريم في تلوين أساليب الجمل، وتنوع معانيها، فيكون الفصل عندما يتباين الغرض بين الجملتين، أو للبيان والتوضيح، أو

لاتحاد المتعاطفين، أو لغرض التحديد وغير ذلك من الأغراض. وللوصل الذي يفيد العطف كذلك أهميته وأغراضه التي تفيد الاشتراك في الحكم بين المعطوفات، سواء أكان عطف مفردات أم عطف جمل، ولكل من الأسلوبين أحوال تقتضيها، وضوابط تتفق مع سياق الكلام وقرائن أحواله.

وتتضح في القرآن الكريم الفروق الدقيقة بين الجمل التي تقتضي الفصل أو الوصل، وتختلف أحوالها وسياقاتها، وتكمن وراءها لطائف عجيبة، وأسرار خفية.

ومن عطف المفردات على بعضها للتجانس والتناسب بينهما في المعنى، ولوجود جهة جامعة بينها قوله - تعالى - في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 165)، فالصلاة، والنسك، والمحيا، والممات أسماء متناسبة يجمعها غرض عام هو الإخلاص لله في العبادة، بما يشتمل عليه من جميع أنواع العبادة، وأعمال المحيا، وأعمال الممات، أي الأعمال التي من شأنها أن يتلبس بها المرء مع حياته، ومع وقت مماته. (ابن عاشور، 1997: 8 / 201).

وعلى غراره كذلك قوله - تعالى - في خطاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمره بالقول الحق: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 33) فورد العطف في سياق ذكر ما حرم الله من الفواحش وما ذُكر معها من المحرمات الثابت تحريمها وقد تلبس الكفار بها، لا ما حرموه من الزينة والطيبات، فأفاد ذلك تحليل ما زعموه حراماً، وتحريم ما استباحوه من الفواحش، وما معها من أنواع الفواحش والذنوب، والاعتداء على حق الغير، والإشراك الذي حرمه الله قبل ذلك كله. (ابن عاشور، 1997: 8 / 99-100).

ومن مواضع الوصل بين الجملتين (بالواو) التي تفيد مع الإشراك في الحكم معاني أخرى، فتظهر فائدة عطف جملة على جملة بهذا الحرف واضحة جلية، ولا توصل جملة بأخرى إلا إذا كان المعنى في إحدى الجملتين متصلاً بمعنى الجملة الأخرى، ومرتبطاً به، كما يتبين ذلك في قوله - تعالى - في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (التوبة: 45)، فقد وقع الوصل بين الجملتين في هذه الآية بالواو لوجود الصلة والتناسب بينهما، إذ إنّ عدم إيمان المنافقين بالله وباليوم الآخر، وارتيابهم من صحة أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - يناسب ارتياب قلوبهم، وشكهم وتحيرهم وعدم ثباتهم على الهدى. (أبو حيان، 2007: 5 / 49).

ومن أحوال العطف الحالة المقتضية للتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع، وذلك عند اختلاف الجملتين خبراً وطلباً، ويكون المقام مشتملاً على ما يزيل الاختلاف من تضمين الخبر معنى الطلب، أو الطلب معنى الأمر. (السكاكي، 1990: 145)، في نحو قوله تعالى في خطاب نبيه موسى - عليه السلام -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ (النمل: 8-10)، فقوله - تعالى -: (وألق عصاك) معطوف على قوله: (أن بورك)، على معنى: فلما جاءها قيل: بورك وقيل: ألق عصاك، ويتأتى ذلك بعد فعل في معنى القول، ويعلل صاحب الكشاف لهذا العطف بأن المعنى: نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك؛ لأنّ كلاهما تفسير لنودي، والمعنى: قيل له: بورك من في النار، وقيل له: وألق عصاك، والدليل على ذلك ورودها في سورة القصص بتكرير حرف التفسير بقوله تعالى: ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ (القصص: 30) بعد قوله: ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ (الزمخشري، د.ت: 3 / 394).

أما الفصل فقد ذكر البلاغيون أنّه ينحصر في مواضع منها كمال الاتصال، وهو أن تتفق الجملتان في الإنشائية أو الخبرية لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، ويكون بينهما من الاتصال والتلاحم ما يمنع العطف بالواو، ومن أحوالها: أن تكون الجملة الثانية موضحة للأولى، أو مبينة ، أو مؤكدة لها ومقررة، فلا تكون موضعاً لدخول الواو. (السكاكي، 1990: 142)، ومن أمثلة ذلك من خطاب الله - تعالى - لأنبيائه من أولي العزم قوله - تعالى - في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق: 17)، حيث إن قوله: (أمهلهم رويداً) وافق قوله: (فمهل الكافرين) من ناحية اللفظ والمعنى، وجاءت الجملة الثانية توكيداً للأولى وبياناً لها، فظهرت الصلة القوية بينهما، فترك العطف بينها لعدم صحة عطف الشيء على نفسه، فقوله: (أمهلهم) بدل من (مهل) الأولى، وقوله: (رويداً) مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف أي أمهلهم إمهالاً رويداً أي قريباً. (الألوسي، 2005: 30 / 312).

ومن مواضع الفصل في الكلام ما يسمى عند البلاغيين بشبه كمال الاتصال، أو الاستئناف البياني، وهو أن تكون الجملة الأولى متضمنة لسؤال تقع الجملة الثانية جواباً له، كما في قوله - تعالى - في خطاب نبيه نوح - عليه السلام -: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود: 46)، حيث إنّ قوله: (إنه ليس من أهلك) أي: ليس من أهلك الذين أمرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء؛ لأن مدار الأهلية هو القرابة الدينية، فيُفهم من هذه الجملة وينبعث منها سؤال فحواه: كيف لا يكون من أهلي وهو

ابني؟ فجاءت الجملة الثانية (إنه عمل غير صالح) جواباً لهذا السؤال المثار معللة عدم كونه منهم على طريق الاستئناف الحقيقي، أي: إنّه ذو عمل غير صالح. (أبو السعود، د.ت: 4 / 212)

المطلب الرابع ـ القصر:

يعد القصر من أساليب الكلام الغنية بالاعتبارات الدقيقة، التي تكسب التعبير خصوصية، وتحقق مزايا وفوائد بلاغية كالتخصيص، والإيجاز، والمبالغة، وحاصل معنى القصر عند البلاغيين راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون آخر، بأحد طرق القول المفيد للقصر. (السكاكي، 1990: 162)، فالجملة الدالة على القصر تفيد الإثبات والنفي معاً، وتفيد إثبات شيء لشيء ونفيه عما غيره.

ويرجع ثراء أساليب القصر وكثرة فوائدها إلى تنوع طرقها، وما بينها من فروق دقيقة، وملاحظات لطيفة، تختلف باختلاف سياقها ومقامها، حدد البلاغيون منها أربعة طرق تكمن وراءها اعتبارات بلاغية وهي النفي والاستثناء، والقصر بـ (إنّما)، والتقديم، والعطف بـ (لا) و(بل) و(لكن).

ويستعمل النظم القرآني ألواناً من القصر عندما يُراد إثبات الحكم المذكور ونفيه عما عداه، فقد يقصر صفة على موصوف قصراً حقيقياً، بحيث لا يتصف بها إلا ذلك الموصوف وحده، كما يتبين في قوله تعالى في خطاب النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد: 19)، إذ هو أمر من الله تعالى لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالثبات والدوام على ما له من العلم بوحدانية الله، وقصر صفة الألوهية عليه وحده دون غيره، وإتباع ذلك العلم بالأمر بالعمل والاستغفار لذنبه وللمؤمنين؛ لأن في ذلك العلم والعمل استمطار للخيرات له ولأمته. (ابن عاشور، 1997: 26 / 104-105).

ومن صور القصر كذلك في خطاب الله تعالى لأنبيائه قوله ـ تعالى ـ في خطاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ**﴾ (فاطر: 22-23)، فجرى الأسلوب على القصر بالنفي والإثبات في تقرير أمر من الأمور المسلّم بها صار في حكم المشكوك فيه؛ لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد خوطب خطاب من يظن أنه يقدر على تحويل قلوب المشركين عما هي عليه من الكفر والعناد، ولا يعلم علم اليقين أنه قصر عمله على البلاغ والإنذار، فجاء التعبير بالقصر موضحاً حقيقة التكليف الذي أُسند إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، بأنه ما عليه إلا أن ينذر ويبلغ، فإن أراد الله هداية المنذر

سَمِعَ واهتدى، وإن أراد الله ضلاله فما عليه إلا الإبلاغ، لأن الضلال والهداية بيد الله - تعالى - فهو الذي يهدي ويضل. (أبو حيان، 2007: 7 / 295).

كما يأتي القصر بـ (إنّما) في مواضع كثيرة من الخطاب القرآني، لها مزايا بلاغية تفهم من السياق الذي وردت فيه، ومن مواضع ورودها في خطابات القرآن الكريم أن تكون بمثابة الجواب عن سؤال يقتضيه السياق قبلها أو يصرح به، ويكثر ذلك بعد فعل (القول)، كما في قوله - تعالى - في خطاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً وَيَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 187)، والقصر في الآية حقيقي لاشتماله على معنى الإضافة والزيادة؛ لأنّ علم وقت الساعة تحديداً مقصور على الله -تعالى- ويؤكده قوله - تعالى - بعدها: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ (ابن عاشور، 1997: 9 / 202).

المطلب الخامس: الالتفات

يعد الالتفات من الأساليب البلاغية التي تكسب التعبير العديد من الفوائد والإيماءات، إذ يتجلى في كل التفات غرض من الأغراض ومزية من المزايا؛ لأنّه عدول عن أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف له، ويعرفه البلاغيون بأنّه التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة، وهي: التكلم أو الخطاب أو الغيبة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، مضافاً لتنويع في الخطاب وتحول فيه، وزيادة مزية للكلام؛ لأنّه في انتقال الكلام من أسلوب إلى آخر تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه أكثر من إجرائه على أسلوب واحد. (القزويني، 1993: 2 / 91)

وما يظهر فيه أثر الالتفات واضحاً في تلوين الخطاب، وإبراز المعنى في خطاب الله - تعالى - لأنبيائه قوله في خطاب موسى -عليه السلام: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: 10-11)، بالتحول من الغيبة للخطاب على طريقة الالتفات إليهم، ومواجهتهم بالإنكار والعضب عليهم، يقول الزمخشري معللاً سر هذا الالتفات: (فإن قلت: فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى -عليه السلام- في وقت المناجاة والملتفت إليهم غيب لا يشعرون؟ قلت: إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم، وإلقائه إلى مسامعهم؛ لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس، وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى، وكم من آية نزلت في شأن الكافرين، وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً واعتباراً بموردها. (الزمخشري، د.ت: 3 / 340).

ومما يتبين فيه أثر الالتفات كذلك قوله - تعالى - في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء: 64)، حيث التفت من الخطاب في قوله: (جاءوك) إلى الغيبة في قوله: (واستغفر لهم الرسول)، والأصل أن يُقال: واستغفرت لهم، وفي هذا الالتفات تفخيم لشأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتعظيم لاستغفاره، والتنويه بأن شفاعة واستغفار من اسمه (الرسول) عند الله -تعالى - بمكان. (الزمخشري، د.ت: 1 / 503).

ومن نماذج الالتفات في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر: 1-2)، حيث يبرز الالتفات من التكلم في قوله: (إنا أعطيناك) إلى الغيبة في قوله: (فصل لربك) موضحاً معنى التربية للرسول الكريم من خلال ترتيب جملة (فصل لربك وانحر) على ما قبلها من العطاء؛ لأنّ ما ذكر من عطية الله لرسوله التي لم يعطها أحداً من العالمين مستوجب للمأمور به بعدها، بأن يداوم على الصلاة لربه الذي أفاض عليه ما أفاض من الخير خالصاً لوجه -تعالى-، خلاف الساهين عنها المرائين فيها أداءً لحق شكره -تعالى- على ذلك، وفي الالتفات عن ضمير الجلالة إلى ضميره -عليه الصلاة والسلام- تأكيد لترغيبه في أداء ما أمر به على أكمل وجه. (الألوسي، 2005: 15 / 480-481)

المطلب السادس: التنكير والتعريف

تكمن وراء كل من التنكير والتعريف في العربية أسرار ومزايا بلاغية، تتجلى للناظر في سياقات الكلام، والمتأمل في قرائن أحواله، ولكل أسلوب منهما دلالاته واتجاهاته في موضعها.

فالنكرة يؤتى بها عندما لا يراد تعيين الفرد المقصود في الكلام، وتدل على معانٍ متنوعة تتنوع بتنوع السياق والمقام، وكذلك التعريف فهو وسيلة لإفادة معانٍ إضافية للتركيب تفهم من سياقاتها، ويتم التعريف بطرق متعددة تعبر كل منها عن صور المعرفة للمسند إليه أو للمسند، وفق نظام المعنى الذي يقصده المتكلم، وله غاية مهمة في التركيب، حيث إنّه «أمر عجيب الشأن، وله مكان في الفخامة والنبل، وهو من سحر البيان الذي تقصر عن تأدية حقه، والمعوّل فيه على مراجعة النفس، واستقصاء التأمل» (الجرجاني، 1992: 183).

ومن نماذج هذا الأسلوب في خطاب الله - تعالى - لأنبيائه ما جاء في خطابه - تعالى - لنوح - عليه السلام - بقوله: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ (هود: 48)، بتنكير لفظ السلام، وذلك في مقام التعظيم لهذا السلام الصادر من الله - جل وعلا - لنبيه نوح -

عليه السلام - فقوله: (بسلام منا) أي: مسلماً محفوظة من جهة الله - سبحانه وتعالى - ومكرماً مبجلاً. (الزمخشري، د.ت: 2 / 440)، بدليل عطف قوله: (وبركات عليك)؛ ولأنّ التحية كانت في هذا الموضع من جهة الله تعالى، وسلام من جهة الله - تعالى - مغن عن كل تحية، ومن ثم لم يرد لفظ (السلام) من جهة الله - تعالى - إلا منكراً.

ومن أمثلة خطاب الله - تعالى - لأنبيائه من أولي العزم التي تتضح فيها مزية التنكير قوله - تعالى - في خطاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (البقرة: 96)، فناسب تنكير قوله: (حياة) مقصد الآية ومرادها، إذ المراد بيان حرص هؤلاء الناس على مطلق حياة، دون أن يهمهم رفعتها أو وضاعتها، وإنما توجه حرصهم على الازدياد من الحياة في الأزمنة المستقبلة، أي: أنّهم أحرص الناس على أن يزدادوا حياة إلى حياتهم. (العلوي، 2008: 2 / 9).

وللتعريف في الخطاب القرآني كذلك مواضعه الدقيقة، ومقاماته المتنوعة، باستعمال أنواعه المعروفة من (الضمائر، والعلم، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والمعرف بالألف واللام، والمعرف بالإضافة)، وللتعريف بكل منها مزايا ولطائف تتجلى عند التأمل في سياقاتها، وعند الوقوف على قرائن أحوالها.

ومن صور التعريف في خطاب الله - تعالى - لأنبيائه استعمال الضمير الذي يجمع بين الاختصار الشديد، والارتباط المتين بين جمل الآية بعضها ببعض، مع إفادته معنى التأكيد والتخصيص، قوله تعالى في خطاب نبيه موسى - عليه السلام -: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص: 30)، حيث إنّ التعريف بضمير المتكلم العائد إلى الجلالة (إنّي أنا الله) وما له من شأن عظيم، أفاد من التلطف والإيناس لسيدنا موسى - عليه السلام – ما لا يفيده غيره، خاصة وأن مقام مخاطبة الله - جل وعلا - لموسى مباشرة يحتاج إلى هذا التلطف وذاك الإيناس؛ حتى يتبدد ما حل به من خوف وقلق، وفي تقديم وصفه - تعالى - لنفسه (رب العالمين) على إصدار الأوامر لموسى - عليه السلام - دلالة على أنّ جميع الخلائق مسخرة له - سبحانه وتعالى - حيث يثبّت بذلك قلب موسى، ويهون عليه وقع تلقي الرسالة. (ابن عاشور، 1997: 20 / 112).

ومن الأغراض البلاغية التي يفيدها تعريف المسند إفادة قصر المسند على المسند إليه، بمعنى قصر المسند على المسند إليه قصراً ادعائياً بهدف المبالغة في الوصف، ويكثر ذلك في مقامات المدح والفخر والتعظيم ونحوها، بمعنى أنّ الصفة لا تتعدى المسند إلى غيره على سبيل المبالغة والادعاء.

ويتبين ذلك في خطاب الله - تعالى - لنبيه موسى - عليه السلام - في قوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه: 66-67)، أي: إنك أنت الأعلى لا هم، فتعريف المسند هنا أفاد قصره على المسند إليه، وهو موسى المقصود بالضمير، بمعنى عدم تعديه إلى أولئك السحرة، بعد أن تملّك الخوف من قلب موسى، فأفاد التعريف في قوله: (إنك أنت الأعلى) التقرير لغلبة موسى وقهرهم، والتوكيد بالاستئناف، والتوكيد بتكرير الضمير، وبلام التعريف، والتعبير بالأعلوية الدالة على التفضيل. (أبو حيان، 2007: 6 / 241).

الخاتمة:

انتهى البحث إلى النتائج الآتية:

1. أظهر البحث التنوّع في مقامات خطاب الله - تعالى - لأنبيائه ورسله بتنوّع المقاصد والغايات، وتنوّع المحاور والموضوعات، موجهة إلى أساس عقدي واحد، وهو الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله.
2. أظهر البحث مراعاة الخطاب القرآني لنفوس متلقيه من الأنبياء والرسل، وبخاصة أولي العزم منهم، واستعماله أنسب الأساليب في دعوتهم إلى تبليغ الرسالة الإلهية.
3. أبان البحث عن خصوصية خطاب الله - تعالى - لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - بما يشتمل عليه خطابه من الملاطفة، واستعمال عبارات المؤانسة تكريماً لمقامه بين الأنبياء، وتشريفاً لمكانته بينهم.
4. أثبت البحث - في جانبه التحليلي- أهمية المستوى التركيبي في تجلية المعاني، وتوضيح المقاصد لخطاب الله - تعالى - لأنبيائه ورسله، وأثره في التنوّع الدلالي لهذا الخطاب، بما يظهر سموه عن سائر أنواع الخطابات في الذكر الحكيم.
5. شيوع ظاهرة الحذف في خطاب الله - تعالى - الموجه للأنبياء والرسل من أولي العزم، ممثلة نمطاً من أنماط التوجه نحو المتلقي؛ لأنّ الحذف يكسب الخطاب انفتاحاً دلالياً مطلقاً، مجسداً طبيعة المحذوف، وفق طبيعة التخيل لدى المتلقي.
6. أبان البحث عن تعدد مظاهر الحذف في خطاب الله تعالى لأنبيائه ورسله بتعدد مواضع ورودها، واختلاف سياقاتها، وتحقيقها لفضائل بيانية تتمثل في السلامة من الإجحاف بالمعنى، أو الخلل في الأسلوب، وبوجود دليل قوي يحكم الحذف ويعين على تصوره.

7. أظهر البحث ما لأسلوب التقديم والتأخير في خطاب الله - تعالى - لأنبيائه ورسله من اعتبارات دقيقة، ولطائف خفية، تتنوع بتنوع مقام الخطاب وسياقه، وترتبط بمعنى الاختصاص والاهتمام، ومراعاة النظم للفواصل بما يتلاءم مع المعنى المراد والمرتبط بالتقديم في صورة بلاغية مؤثرة.

8. يكشف استعمال أسلوب الفصل والوصل في الخطاب القرآني للأنبياء عن تلوين الأساليب، وتنوّع معانيها ومقاصدها، بما يلائم الغرض من الخطاب، وبما يتفق مع سياق الكلام وقرائن أحواله.

9. يتسع أسلوب الالتفات في خطاب الله - تعالى - للأنبياء والرسل، ويأتي للتعبير عن مقاصد بلاغية عديدة، ولطائف بيانية تقوم على إجراء مغايرة أسلوبية، يتعلق بعضها بالمخاطب أو المتلقي، ويتعلق بعضها بالغاية التي يرمي إليها الخطاب.

وفي ختام هذا العرض لأبرز النتائج التي توصل إليها البحث يقدم البحث جملة من التوصيات المقترحة منها:

- توجيه الباحثين إلى مزيد من الدراسات التي تعنى باستنطاق الدلالات في تراكيب القرآن الكريم ، للوصول إلى تفسير تدبري دلالي كامل لمعانيه ومقاصده .
- العناية بمباحث الدلالات ،والتركيز على مراتبها في الاستدلال ؛ لما لها من أثر بالغ في استنباط المعنى ،وفهم المقصد من الخطاب القرآني .
- الإفادة من أبحاث التراث في دراسة وتحليل النص القرآني الكريم ، وتوجيه الباحثين إلى النظر في آراء أئمة اللغة ، وكبار المفسرين .
- الدعوة إلى ربط علوم اللغة العربية من (نحو ،وصرف ،وبلاغة) بدراسة الدلالة والسياق، والتأكيد على أثرها في تعميق فهم الخطاب .
- إجراء دراسات وصفية تحليلية تعنى بدلالات التراكيب على الأنواع الأخرى من خطابات القرآن الكريم .

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

المصادر:

1. القرآن الكريم برواية الإمام قالون عن نافع المدني.
2. أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي (ت 745 هـ)، 2007م، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2.
3. ابن الأثير: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت 637 هـ)، 1983م، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط: 2.
4. الألوسي: أبو الفضل، شهاب الدين السيد محمود (ت 1270 هـ)، 2005م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2.
5. البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت 685 هـ)، 1990م، تفسير البيضاوي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط: 1.
6. الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ)، 1985م، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ط: 5.
7. الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471 هـ)، 1992م، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط: 3.
8. الرماني: علي بن عيسى بن علي (ت 384 هـ)، 1968م، النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط: 2.
9. الزرقاني: محمد عبد العظيم (ت 1367 هـ)، 1996م، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط: 1.
10. الزركشي: محمد بن عبد الله (ت 749 هـ)، 2006م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، (د.ط).
11. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر (ت 538 هـ)، (د.ت)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ط).
12. السعدي: عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376 هـ)، 2002م، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 1.
13. أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت 951 هـ)، 1952م، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، تحقيق: محمد عبد اللطيف، مكتبة ورواية محمد علي صبيح، القاهرة، (د.ط).
14. السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت 626 هـ)، 1990م، مفتاح العلوم، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: 2.
15. الطيبي: شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت 743 هـ)، 2013م، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، تحقيق: لجنة من الباحثين، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط: 1.
16. ابن عاشور: محمد الطاهر ابن عاشور (ت 1393 هـ)، 1997م، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د.ط).
17. ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله الأندلسي (ت 543 هـ)، (2003م)، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 3.
18. ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 542 هـ)، 1993م، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1.

19. العلوي: يحيى بن حمزة بن علي (ت 745 هـ)، 2008م، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط).
20. العموش: خلود، 2008م، الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط: 1.
21. ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ)، 1972م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: 2.
22. القرطبي: أحمد بن عمر بن إبراهيم (ت 656 هـ)، 1996م، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، بيروت، ط: 1.
23. القزويني: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 739 هـ)، 1993م، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط: 3.
24. المطعني: عبد العظيم إبراهيم، 1992م، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، مصر، ط: 1.
25. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت 711 هـ)، (1993م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط).